

دور روح المقاومة في تشكيل وحدة الهوية للأمة الإسلامية

دور روح المقاومة في تشكيل وحدة الهوية للأمة الإسلامية

الدكتور الشيخ نبيل الحلباوي

باحث و مفكر إسلامي- سوريا

خلق الله البشر فنوع ألوانهم و أجناسهم و شعوبهم و قبائلهم و ألسنتهم " P وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّ
رُءُوسِ الْعَالَمِينَ 10 الروم 22

بل جعل لكل واحد منهم ما يميزه من سواه وراثته و بيئته و تربية على صعيد المؤثرات و بصمة في
اليد و العين و غيرهما على صعيد الشكل و تركيبة ذكائية و عاطفية و جسدية على صعيد البناء .

ولكنه و قد هم على أكثر من صعيد : فهم جميعاً من تراب عنصراً و من آدم و حواء أسرة P وَهُوَ
الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا
الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ 0 الأنعام 98 ، وفيهم أجمعين ميل إلى الحق والخير والجمال والكمال
ناهيك عن وحدة منابع المعرفة لديهم حساً وعقلاً وفطرة وافتقاراً إلى الوحي الإلهي المسدّد المرشّد
وطمأ فطري إلى العبادة لا يرويه إلا عبادة الواحد الأحد .

وأناط بهم دوراً يجدر أن يلتقوا عليه و هو الخلافة في الأرض بعد أن محض أباهم العلم و باهى به
الملائكة وأسجدها له " P وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ
خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ 0 البقرة 30 .

وذكّرهم بما تفرّدوا به من تقبّل الأمانة P إِنَّا عَرَضْنَاهَا لِلْأَمَانَةِ عَلَى السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
الْإِنْسَانُ إِنَّ نَافِثَةَ كَانٍ طَلُومًا جَهُولًا 10 الأحزاب 72

ودعاهم بعد أن صارت الأرض مسرحاً لحركتهم من الله و إليه إلى طريق واحدة تصل بهم إلى سعادة الدنيا و
الآخرة ، وهي أن يفيئوا إلى اتباع الهداية الإلهية " P قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً

فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنْهُدًى مِّنْهُدًى فَامَنِ تَتَّبِعْ هُدًى وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُمِلِينَ ۝ وَلَا تَتَّبِعُوا هُدًى مِّنْهُدًى مِّنْهُدًى فَامَنِ تَتَّبِعْ هُدًى وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُمِلِينَ ۝ 38

وسمى تلك الطريق الصراط المستقيم " P وأن هذا صراطى مستقيماً فاتَّبِعُواهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ 0 الأنعام 153

و أمرهم أن يُطيعوا رسله في اجتناب عبادة الطاغوت و الاعتصام بعبادة الله الواحد الأحد " P وَلَقَدْ دَعَا بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۚ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّقَتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ 0 النحل 36 .

وجعل أولئك الرسل المصطفين الخيار و من تلاهم من الأولياء الأبرار الأطهار أمناء على خط رقيب على البشر يؤحِّد رؤاهم و منهجهم ألا و هو خط الشهادة " P إِنْ زُلْزِلْنَا تَسْوَرَةً فَبِهَا هُدًى وَنُورٌ يَهْدِيكُمْ بِهَا الذَّبِّيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا ۚ وَالرَّبَّ بَشَانِيًّا ۚ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَالْأَخْشَاءُ وَلَا تَخْشَوْا رَبَّكُمْ ثُمَّ نَأْتِي تَمَنَاءَ قَلِيلًا ۚ وَمَنْ لَّكُمْ يَهْدِيكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ 0 المائدة 44.

ولكنه سبحانه بحكمته البالغة وتدبيره المتقن جعل ذروة أنبيائه ورسله وأوليائه و إمامهم حبيبه محمداً صلى الله عليه وآله و سلم الرسول الخاتم و مسك ختامهم P مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ الذَّبِّيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً 0 الأحزاب 40

وجعل أوج الكتب السماوية و المهيمن عليها القرآن الكريم " P وَاَنْزَلْنَاهُ اِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهِيمًا عَلَیْهِ فَاَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا اَنْزَلَ اللّٰهُ وَلَا تَتَّبِعْ اَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ لَجَعَلَكُمْ اُمَمَةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ لَّيَبْدِلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ اِلٰى مَا مَرَّجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنْزِلُ نَزْلُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ 0 المائدة 48.

وملتقى الدين وسنامه الإسلام العظيم " P هُوَ الَّذِي اَرْسَلَ رَسُوْلَهُ بِالْهُدٰى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلٰى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ 0 التوبة 33.

وخصّ أمته بأن تكون الأمة الوسط و واسطة العقد بين الأمم بما تعاقب فيها من خيرة الأئمة بعد الرسول الخاتم _ و الشاهدة عليها " P وَكَذٰلِكَ جَعَلْنٰكُمْ اُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُوْنُوْا شُهَدَآءَ عَلٰى النَّاسِ وَيَكُوْنُوا الرَّسُوْلُ عَلَیْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنٰا الْقُبُوْلَةَ السَّتِي كُنْتَ عَلَیْهَا اِلَّا لِنُدْعُوْلَهُمْ مِّنْ يَّتَّبِعُ الرَّسُوْلَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلٰى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيْرَةً اِلَّا عَلٰى الَّذِيْنَ هَدٰى اللّٰهُ وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُضِلَّ اِيْمَانَكُمْ اِنَّ اللّٰهَ بِالنَّاسِ لَرَوُّوْفٌ رَّحِيْمٌ 0 البقرة 143

وإذا كان من الطبيعيّ أن تتنوّع وجوه الرأى و النظر و الاستنباط في الأمة و تنشعب بها الاجتهادات فإنه أراد لها أن تحتفظ وتحافظ على وحدة هويّتها و جعل لوحدة هذه الهوية الضامنة لعزّها و كرامتها وتميُّزها و دورها وسائل من أبرزها روح المقاومة .

أولاً -وحدة الهوية للأمة الإسلامية :

تقوم وحدة الأمة الإسلامية على ركائز ثلاث هي القرآن و الرسول و دين الإسلام المنعقد منهما بلا فصل بين

الكتاب و السنة بكل ما تبينه قولاً و عملاً و تقريراً .

و مهما افترق المسلمون فإنهم يلتقون في أن كتابهم هو هذا القرآن الذي قال عنه ربّه : " P
وَأَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ
وَمُهِيمِنًا عَلَيْهِ فَاتَّخِذُوا مِنْ بَيِّنَاتِهِمْ بِمَا آتَى اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَهُمْ
عَمَّا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا
الْخَيْرَاتِ إِلَىٰ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ 0
المائدة 48

وأن نبيهم و محجّة قلوبهم و معشوق مهجهم من الخلق هو هذا النبي الذي قال عنه ربّه : " P
أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى
اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّذِيرًا 0 الأحزاب 45 - 46 وما أروع ما أجاب به أمير المؤمنين
عليّ عليه السلام اليهودي الذي قال له ما أسرع ما تفرقتم و اختلفتم في نبيكم (و ا ما
اختلفنا و تفرقتنا فيه و إنما عنه)

وأن دينهم القائم على ما جاء به القرآن الكريم و ما فصله الرسول العظيم بسنته و سيرته هو هذا
الإسلام و لا يُقبل منهم سواه " P إنّ الدّينَ عندَ الله الإسلام و ما اختلفَ الدّينَ
أوتواهُ الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيِّنَاتِهِمْ وَمَنْ
يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ 0 آل عمران 19 P وَمَنْ يَدْتَعْ
غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ 0 آل عمران 85
.

وفي ظلال هذه الركائز الثلاث بل في رحابها و على امتداد آفاقها تتضح صورة هذه الهويّة الواحدة للأمة
و تتجلّى معالمها فيما يأتي :

1. أنها تنبع عقدياً من التوحيد الكلمة الطيبة : " P أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ 0 إبراهيم24 رَأْسَ الشَّجَرِ لَأَلْذَىٰ مَالًا لِّمَنْ أَثَّرَ 0 وَاللَّهُ بِرُءُوسِهِمْ بَصِيرٌ 0 كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ 0 إبراهيم25 .

فالتوحيد بشقيه :

- النظري القائم على اعتقاد راسخ :

= بالتوحيد الذاتي □ تعالى فهو الأحد (لا يتركَّب) " " P قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ 0 الإخلاص1 ، و هو الواحد لا يتعدَّد ، ولم يكن له مماثلاً ولا مشابهاً أحد من خلقه ، لا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله ، تبارك وتعالى وتقدَّس. P وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ 0 الإخلاص4 .

= و توحيد الخالقية فليس ثمَّ مدبِّر لكلِّ الخلائق على سبيل الاستقلال عداه P إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ 0 الأعراف 54 .

- والعملي :

• فلا معبود يستحق العبادة إلا إياه " P إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ 0 الفاتحة 5 .

• و لا يُرْجى غيره P أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ
أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ
مَحْذُورًا 0 الإسراء 57 .

• و لا يُتَوَكَّلْ إِلَّا عَلَيْهِ " P وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ
ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبِّيَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ 0 الشورى 10 .

• و لا يُخَافُ إِلَّا مِنْهُ " P وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ
رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ 0 الرعد 21 .

• و لا يبدأ الحب إلا به و لا ينتهي إلا إليه P وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ
أَنَدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ
يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوءَةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ
اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ البقرة 165 ؛ و لا انفكك بين حبّ الله و رسوله و لا يكون أشدّ الحب إلا
لهما P قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ
وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ
تَرْضَوْنََهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ
فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ 0
التوبة 24 .

ولكنّ هذا التوحيد هو أصل الأصول ؛ فمنه ينبثق الإيمان بالنبوة و الإيمان بالملائكة و الكتب و الرسل
به الله بن آدم قُلْ كُونُوا مُؤْمَرًا وَلَا تَرْجُوا عَذَابَ اللَّهِ بَلْ أُعَذِّبُهُمْ وَأَبْلَى P
وَمَلَأْتُ كَنَّتَهُمْ وَكُتُبِهِمْ وَرُسُلِهِمْ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَعْدَائِهِمْ فِي سُبُلِهِمْ وَقَالُوا
سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ 0 البقرة 285 .

ثمَّ إنَّ هذا التوحيد هو أصل النظم الإسلامية و صبغتها و منطلقها جميعاً :

· فالسياسة في الإسلام توحيدية ترجع بالحكم إلى الله تعالى : P مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا
أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَّا أُنْزِلَ إِلَيْهِ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِلَّا
الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ 0 يوسف 40.

· والاقتصاد في الإسلام توحيدي ينسب الملك بالأصالة إليه سبحانه P يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي
النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي
لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ
مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ 0 فاطر 13.

· والاجتماع في الإسلام توحيدي و التربية توحيدية .

· ثمَّ إنَّ هذا التوحيد هو سرُّ الأسرار و منبع الأنوار في وحدة الهوية للأمة الإسلامية وبحق قيل : (
الإسلام هو كلمة التوحيد و توحيد الكلمة) .

2. أنها تنبع قيمياً من القيم الإنسانية التي تبناها الإسلام و أغناها كقيم الحرية و
العدالة و الكرامة ، و من القيم الدينية التي أضافها إلى قائمة القيم و جعلها ملاكاً للتمايز بين
البشر في مراتب الإنسانية كقيمة التقوى " IP الْحَجَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ
فِيهِنَّ الْحَجَّ فَإِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُتَّقِينَ وَلَا فُتُورَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ
خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا
أُولِي الْأَلْبَابِ 0 البقرة 197 .

3. و أنها تنبع تشريعياً من المنهج الإسلامي التشريعي الغني " بالعبادات المتألقة

صيغاً و آثاراً و أسراراً كالصلاة و الصيام و الزكاة والحج و الجهاد والبعد الاجتماعي لها و بالعقود و الإيفاعات و بدوائر الأحكام التكليفية وجوباً و حرمة و استحباباً و كراهية وإباحة وأطر الأحكام للأوضاع الاجتماعية كالزواج والطلاق والقانونية كالقصاص والحدود والديات والمالية كالإرث.

4. وأنها تنبع عاطفياً من الارتباط بالله تعالى و الانطلاق من حبه إلى حب خيرة خلقه من

الأنبياء و الأولياء إلى حب جميع خلقه لأنهم صنع الجميل المطلق و النظراء في الخلق: (الناس صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق) (نهج البلاغة - خ 53).

5. وأنها تنبع حضارياً من إيجابيات التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية

التي أطلت الأرض قروناً .

6. و أنها تنبع سلوكياً من احترام أتباع الديانات السماوية و شركاء الوطن على اختلاف

رؤاهم السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و التعاون معهم تحت سقف بناء الأوطان و صون أراضيها و حفظ استقلالها و الوقوف في وجه أعدائها المتربصين بها و الساعين إلى تمزيقها و تدمير وحدتها ، و فتح آفاق التقدم أمامها .

7. و أنها تنبع عالمياً من الدفاع عن المستضعفين " P وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا 0 النساء 75 .

8. ومستقبلياً من استشراف دور الأمة بقيادة إلهية موعودة والتهيئة والإعداد لنشر العدل

والرفاهية والكرامة مقابل الجور والإفكار والإذلال الذي تمارسه قوى الحلف الاستكباري الصهيوني وذيوله في العالم.

ثانياً - روح المقاومة :

1. المقاومة سنة إلهية:

ندب إليها القرآن الكريم في مواجهة الباطل مستنفرًا قوى الحق على مرّ التاريخ وسمّاها سنة الدفع و اعتبرها أعظم حائل دون فساد الأرض P فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَفَتَلَدُوا دَاوُدَ وَجَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْأَمْْلَكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ 10البقرة251 ، و اعتبرها كذلك سرّ بقاء الصروح الدينيّة المشعّبة في تاريخ الدين و تعاقب الشرائع قائمة شامخة متألّفة P السّذّين أُوْخِرْجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ يَرْغَبُونَ حَقٌّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِّدَّتْ مَنَاصِرُ صَوَامِعُ وَبِيدَعُ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ 0 الحج40 .

وهذه المقاومة كالإنسان جسد و روح ؛ فإذا أُتيح لها أن تنهض بدورها جسداً و روحاً فيها و نعمت ، ولكنّ المهمّ على كلّ حال ألاّ تعدم روحها لأنّ الجسد بلا روح لا حياة فيه و لا أثر له ، أما الروح _ ما بقيت _ فستستعيد للجسد حياته و فاعليته .

أ- و مما يُزكّي هذه الروح قرآنيّاً :

• آيات القتال في سبيل الله تعالى كما في قوله تعالى "P وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ 0 البقرة 190 .

• وآيات عدم الركون للظالمين "P وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ 0 هود 113 .

• وآيات الولاية الإيجابية P إِنْ زَلَمْنَا وَلِيَّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ 0 المائدة 55

• والسلبية P يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَنْتَرِسُوا مِنَ الْأَخِيرَةِ كَمَا يَنْتَرِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ 0 الممتحنة 13 .

و مما يرود لهذه المقاومة و يُجسّدها عملياً و

بـ

يُسبغ عليها وضوح الهدف و نقاء الوسيلة :

• مقاومة الرسول صلى الله عليه وآله و سلم لهجمات الشرك و اليهودية المتحالفة معه و مقاومة خلفائه الأوائل للردّة و تداعياتها و للإمبراطوريات الكبرى و تابعيها تحريراً للشعوب من سيطرتها .

• ومقاومة الإمام علي عليه السلام لمحاولات تهديم الأمة من داخل و تفريغ الدين من محتواه الإنساني والقيمي.

1. وَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْيَهُودِ مَا دَفَنْتُمْ نَبِيَّكُمْ حَتَّى اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ فَقَالَ (عليه السلام) : لَهُ إِزْمًا اخْتَلَفْنَا عَنْهُ لَا فِيهِ وَلَا كَيْدَكُمْ مَا جَفَّتْ أَرْجُلُكُمْ مِنَ الْبَحْرِ حَتَّى قُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِزْمَكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (نهج البلاغة خ 317) .

2. فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنْ الْإِسْلَامِ يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دَيْنِ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلَامًا أَوْ هَدْمًا تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ قَوْتِ وَلَا يَتَيْكُمْ السَّيِّئُ إِلَّا زَمًا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ فَلَا تِلَّ يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ أَوْ كَمَا يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ فَتَهَضَّتْ فِي تِلْكَ الْأَحْداثِ حَتَّى زَاحَ الْبَاطِلُ وَزَهَقَ وَاطْمَأَنَّ الدِّينُ وَتَنَهَضَتْ (نهج البلاغة . من كتاب له (عليه السلام) إلى أهل مصر مع مالك الأشر لما ولاه إمارتها) .

3. و من كلام له (عليه السلام) و قد شاوره الخليفة عمر بن الخطاب في الخروج إلى غزو الروم : و قَدْ تَوَكَّلَ اللَّهُ لَأَهْلِهِ هَذَا الدِّينَ بِإِعْزَازِ الْحَوَزةِ وَ سَتْرِ الْعَوَزةِ ، وَالَّذِي نَصَرَهُمْ وَ هُمْ قَلِيلٌ لَا يَنْتَصِرُونَ وَ مَنَعَهُمْ وَ هُمْ قَلِيلٌ لَا يَمْتَنِعُونَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ إِلَّا نَسَكَ مَتَى تَسِرْ إِلَى هَذَا الْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ فَتَلْقَهُمْ فَتَذْكَبْ لَا تَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ كَانْفَعَةً دُونَ أَفْصَى بِلَادِهِمْ لَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فَأَبْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مُحَرِّبًا وَ أَحْفِزْ مَعَهُ أَهْلَ الْبِلَاءِ وَ النَّصِيحَةِ فَإِنْ أَطْهَرَ اللَّهَ فَذَلِكَ مَا تُحِبُّ وَ إِنْ تَكُنْ الْأُخْرَى كُنْتَ رِدْءًا لِلنَّاسِ وَ مَثَابَةً لِلْمُسْلِمِينَ (نهج البلاغة - خ 134) .

4. و من كلام له (عليه السلام) و قد استشاره الخليفة عمر بن الخطاب في الشخص لقتال الفرس بنفسه : إِنْ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَ لَا خِذْلَانُهُ بِكَثْرَةِ وَ لَا بِفِلَاسَةٍ وَ هُوَ دَيْنُ اللَّهِ الَّذِي أَطْهَرَهُ وَ جُنْدُهُ الَّذِي

أَعَدَّهٗ وَ أَمَدَّهٗ حَتَّىٰ بَلَغَ مَا بَلَغَ وَ طَلَعَ حَيْثُ طَلَعَ وَ نَحْنُ عَلَيَّ
مَوْعُودٍ مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ وَ نَاصِرٌ جُنْدَهُ وَ مَكَانُ الْقِيَامِ
بِالْأَمْرِ مَكَانُ النِّطَامِ مِنَ الْخِرَزِ يَجْمَعُهُ وَ يَضُمُّهُ فَإِنَّ انْقِطَاعَ
النِّطَامِ تَفَرُّقَ الْخِرَزِ وَ ذَهَبَ ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَذَافِيرِهِ أَبَدًا وَ
الْعَرَبُ الْيَوْمَ وَ إِنَّ كَانُوا قَلِيلًا فَهُمْ كَثِيرُونَ بِإِسْلَامِ عَزِيزُونَ
بِالْاجْتِمَاعِ فَكُنْ فُطْبَاءً وَ اسْتَدِرِّ الرِّحَى بِالْعَرَبِ وَ أَصْلَابُهُمْ دُونَكَ نَارَ
الْحَرِّ فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ
أَطْرَافِهَا وَ أَفْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ مَا تَدْعُ وَ رَاءَكَ مِنَ الْعَوْرَاتِ أَهَمَّ
إِلَيْكَ مِنْ بَيْتِ بَدْيِكَ إِنَّ الْأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَدًا يَقُولُوا
هَذَا أَصْلُ الْعَرَبِ فَإِذَا اقْتَطَعْتُمُوهُ اسْتَرْحَتُمْ فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ
لِكَلَابِجِهِمْ عَلَيْكَ وَ طَمَعَهُمْ فِيكَ فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ الْقَوْمِ إِلَى
قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ وَ هُوَ
أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ (نهج البلاغة - خ 146).

• ومقاومة الإمام الحسن عليه السلام لنار الفُرقة الجاهلية التي كادت تعصف بالإسلام وتقضي على وحدة الأمة .

• ومقاومة الإمام الحسين ع لاستعباد الأمة و تحويل الخلافة إلى ملك عضوض يستحضر قيم الجاهلية و يتحدّى قيم الإسلام ، و قد استطاع هذا الإمام العظيم الشهيد في كربلاء أن يضحّ بدمه و دم أهل بيته و صحبه و بحضور النساء و الأطفال في ثورته في عروق جسد الأمة على مدى التاريخ كلّه روح المقاومة على الرغم من التقتيل و التنكيل و التمثيل الذي أنزل بهم .

• ومقاومة الأئمة ع جميعاً لكلّ ألوان الهجوم الفكري لأعداء الإسلام و محافظتهم على الإسلام نقياً من دنس أولئك و على روح المقاومة في الأمة .

ولم تبت الأمة بعد إذ ابتعدت عن إسلامها و استسلمت للضعف و التخلف و سمحت لعوامل التمزق أن تنهش جسدها و ضعفت روح مقاومتها أن تردت من حلق و صارت في مهاوي التأخر بعد أن كانت رائدة التقدم و التحضر .

ولكن روح المقاومة لم تخدم بين جنبيها و آية ذلك أنّها طردت الصليبيين و لو بعد قرابة قرنين من الزمن و استوعبت المدّ المغوليّ و حوّلتته إلى الإسلام و انتصرت على الاستعمار في معارك الاستقلال و لم يستسلم الشعب الفلسطينيّ لهيمنة الصهاينة و مكرهم و بطشهم ولو يوماً واحداً .

وإذا كانت روح المقاومة لم تتبدّد و لكنّها كانت بحاجة إلى تجلٍّ عظيم ينفجها بالمزيد و المزيد من التوقّد و كان الموعد مع الفجر بعد ليالٍ عشر يطلع من طهران ليزفّ للأمة زمناً جديداً بانتصار الثورة الإسلاميّة في إيران بقيادة العبد الصالح الخمينيّ رضوان الله عليه و انبثاق جمهورية إسلامية تُعيد للإسلام الحقيقيّ الواقعيّ المنفتح الذي منّ به الله على المسلمين في قوله تعالى : " P الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ 0 المائدة 3 دوره و فاعليّته و سماته المتألّقة و حيويّته المتدفّقة و سماحته المترقّقة و قد تعانق فيه الدين و العقل و تناغم فيه الإيمان و العلم ، ولكنّها قامت إلى ذلك بدورين كبيرين في حياة الأمة :

أولهما : الدعوة إلى وحدتها عملاً بقول الله تعالى P إِنَّ هَذِهِ أُمَمٌ تَتُكُومُ أُمَّةً وَاحِدَةً

وَأَنزَلَ رَبُّكُمْ ۖ فَاعْبُدُونِ ۚ وَلِلَّهِ الْأَنْبِيَاءُ 92 وَإِنْ هَدَاهُ أُمِّمٌ تَتَّبِعُهُ ۖ فَإِنَّ هَدَتْهُ ۖ أَكْثَرُ أُمَّةٍ ۚ وَاللَّهُ يَهْدِي الْأُمَّةَ ۚ

وَأَنزَلَ رَبُّكُمْ ۖ فَاتَّبِعُونِ ۚ 10 الْمُؤْمِنُونَ 52 ، والنداء بهذه الوحدة بإطلاق مؤسسات ومؤتمرات ولقاءات فضلاً عن طرح الأبعاد السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والدينيّة لهذه الوحدة وتبنيّها ؛ في مقابل إصرار قوى لها قدراتها التمويليّة و التأثيريّة على الصمم عن تلك الدعوة و ذلك النداء و على العمل على تفتيت الأمة و وتمزيق وحدتها خدمة لأعدائها ، و حسبنا قضية الحج حين طرحت الثورة الإسلاميّة فهمها له باعتباره فريضة عباديّة سياسيّة ينبغي أن تُوظّف في خدمة وحدة الأمة و عزّها و استقلالها ودعت إلى حوار جادّ حولها فكان الردّ مذبحه نُفّذت بمساعدة استكبارية من أعداء الإسلام و مباركة من منظّمة التعاون الإسلاميّ .

ثانيهما : إعادة ضخّ دماء المقاومة في شرايين الأمة في مواجهة عدوّها الألدّ الشيطان الأكبر الاستكبار العالميّ و حليفه الاستراتيجيّ الصهيونيّة العالميّة ، وكان أن تفجّرت ببركة هذه الثورة ودعمها مقاومة إسلاميّة في لبنان أضعف بلدان العرب ولم تلبث هذه المقاومة الميمونة المؤرّرة أن صارت إمام المقاومة ورائدة انتصارات الأمة سنة 2000 و 2006 بعد تاريخ متواصل من الهزائم ، و شكّلت حلف دعم المقاومة الممتدّ من إيران إلى العراق إلى سوريّة على الرغم من تآمر أغلب الأنظمة في بلاد العرب و المسلمين عليه والتحاقهم بركب أعداء الأمة جهراً و خفية و حصارهم له و تمويلهم و تسليحهم لخصومه و منابذيه و خطة بمئات الملايين من الدولارات لتشويه سمعة المقاومة نّفذوها وأخرى بأكثر من ذلك لبثّ الاضطرابات في إيران بعد الانتخابات باسم الحرب الناعمة حرّكوها و ثالثة لتقسيم العراق و إغراقه بالفتنة الطائفية و التفجيرات بعد تحرره من الاحتلال الأمريكيّ لا زالوا يديرونها و هذه الأخيرة التي في سورية لتدميرها و تقسيمها عقاباً لها على خياراتها الاستراتيجية ما فتئوا يؤججونها و ما تخفي صدورهم وغرفهم السريّة وخلاياهم النائمة وقواهم المتربّصة وخططهم المقبلة أكبر .

4. تدقيق لوحدة الهوية :

إنَّ وحدة الهوية للأمة الإسلاميَّة - وإن رُسِمت معالمها في القرآن الكريم و تفتَّت بنا بيعها عقدياً وقيماً وتشريعياً وحضارياً وسلوكياً وعالمياً مستقبلياً من خلال الإسلام العظيم و رُسِخت أبعادها من خلال الأسوة الحسنة الرسول صاحب الخلق العظيم - ليست فكرة صرفاً بل هي أيضاً ممارسة

وليست نظراً فحسب بل هي أيضاً تطبيق وليست محض مفاهيم بل هي أيضاً عمل دؤوب و هي اختيارات و مواقف في كل زمان بما يتواءم وتحدياته ومعطياته و طبيعة الظروف القائمة فيه و تطور الوسائل والتقانات و خارطة الأعداء و التحالفات وهي إذاً وعي و حنكة و حكمة و براعة لا سذاجة و جمود وتعصّب وانغلاق لذا فإن المؤامرة عليها وإن كانت تُخطط من خارج فإنها تُنفَّذ من خارج و من داخل بل من قبل بعض دعاة الإسلام و رموزه و حركاته عن فهم و عن غير فهم و عن قصد و عن غير قصد .

5. تنقيح روح المقاومة :

وكذلك فإن روح المقاومة ليست عنواناً و شكلاً و ادعاءً كما أنّها ليست مزاييدة و تطرّفاً و إرهاباً ، ثمّ إنّها على النقيض من روح المساومة و الخضوع و الاستسلام ، و هي بعد ذلك روح مقاومة بأشمل معانيها سياسياً و اقتصادياً و اجتماعياً و ثقافياً ؛ و لا يُغني الروح فيها عن بناء مجتمع حاض للمقاومة داعم لها متبنّ لخياراتها مشبع بثقافتها ، مستعد للتضحية بالغالي و النفيس على صراطها ، متقرّب إلى الله بحبّها يدعوه ليل نهار لنصرها .

ثالثاً - دور روح المقاومة في تشكيل وحدة الهوية :

1) الأبعاد :

إن روح المقاومة حين تسري في الأمة الإسلاميّة بكلّ ما تتسم به من وحدة الهوية تصل بها إلى قمّة الفاعلية وتجعلها على الاختراق عصية فتنصب في مواجهة الأعداء شامخة أبية و تجعل كل التنوّع في رؤاها عامل غنى وخصب لا أداة تمزيق و جذب ومن أبعاد هذا الدور :

1. تشخيص العدو و توجيه البوصلة نحوه .

2. ضرب العدو الاستكباري الصهيوني و امتداداته و ذيوله.
3. إنصاح الوعي و الحذر من أحابيل الأعداء .
4. تأكيد المشتركات و النأي عن الغرق في الفوارق و التباينات.
5. وحدة الخندق الممهورة بالدماء و التضحيات.
6. التعاضد و التكامل و تبادل الخبرات.
7. رفض التعصب المفتت للطاقات سواء القومي منه أم الإقليمي أم الطائفي.
8. تبني وحدة المعركة و رفض الانجرار إلى معارك جانبية.
9. وحدة الهدف و هو انتصار الأمة في حفظ كرامتها و دينها و أرضها.
10. وحدة الدور و هو إنقاذ البشرية من الأخطبوط الاستكباري الصهيوني و
ذيوله .

إذا كان دور روح المقاومة في تشكيل وحدة الهوية للأمة الإسلامية متكاملًا مع أدوار أخرى كدور الصحوّة الإسلامية المعاصرة و دور الانتصارات الإسلامية و سواها فإنه يمتاز بكونه يتبادل التأثير معها ؛ فالصحوّة الإسلامية فتّنته و أعادته إلى جسد الأمة نابضاً حياً على الساحة العالمية و هو أضفى عليها نكهته المميزة و ألقها و عطرها ؛ فلا معنى لصحوّة إسلامية لا تتبنّى خيار المقاومة و لا بقاء و لا نقاء لها بالخضوع لخيار المساومة .

وهكذا فإن الانتصارات الإسلامية التي أنهت تاريخ الهزائم في حياة الأمة حديثاً لم تكن إلا الثمرة اليانعة و الهدية الإلهية لعودة روح المقاومة و تجلياتها في ضمير الأمة و انبثاق تلك الثلة الرائعة الساطعة في لبنان و فلسطين حقيقة واقعة على الأرض بقيادتها و أبطالها و أدائها و براعتها و تدريبها و تطويرها لخططها ووسائلها و ما أُتيح لها من الدعم من حلف الممانعة و المدافعة على حين تخلّى عنها و تبرّأ منها كلّ الأنظمة العربية و الإسلامية التي دعت في الأربعينيات المقاومة في فلسطين إلى أن ترمي سلاحها لأن الأنظمة ستتكلّف بالقضاء على الدويلة الصهيونية الوليدة و كان أن قُضي على المقاومة و قُضي على كل أحلام الانتصار و هُجّر أغلب الشعب الفلسطيني من أرضه ووزّع في المهاجر و المنافي و بلدان الشتات .

ولا زالت تلك الأنظمة تُزيّن مبادراتها في المفاوضة و المسالمة و التطبيع و فلسطين تُقضم و القدس تُهوّد .

وقد أعادت انتصارات السنوات الأخيرة الثقة للأمة بفجر انتصار ساحق قريب على العدو الصهيوني و من وراءه و من يسالمه و يهادنه و يمالئه .

ومما سبق ننطلق إلى تفهّم أن المؤامرة الاستكبارية الصهيونية و من يندرج في سلكها و تحت لوائها من أغلب النظم العربية و الإسلامية و بعض الحركات المشبوهة المخترقة المسمّاة إسلامية تتناول فيما تتناول هذين العمودين و الركيزتين لبنيان الأمة : روح مقاومتها الذي هو أشبه بالدم الذي يجري في العروق ، و وحدة هويّتها التي هي أشبه بكيان الإنسان و شخصيته ، و هي حين تحاول النيل من روح المقاومة في الأمة إنما تُصيب وحدة هويّتها في الصميم ، و هكذا حين تُسيء إلى وحدة هوية الأمة تحت عناوين طائفية و إقليمية و سواها فإنها تُضعف روح مقاومتها و تستنزف الدم من عروقها و الحياة من جسدها و تُحقّق أهداف المؤامرة عليها و تُمعن فيها تمزيقاً و تقطيعاً تمهيداً للقضاء عليها مادياً و معنوياً .

(4) الفرقان في مستقبل الأمة الإسلامية :

ويُضِئ لنا ما سبق الواقع الذي تحياه الأمة الإسلامية و أنها في مرحلة تنسجم وما سماه القرآن يوم الفرقان " P وَاَعْلَمُواْ اَنزَمْنَا غَنَمَكُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَلِذِي الْحَمَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ أَمْنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَيْكُمْ بِإِسْمِ الْغُفْرِ فَإِنَّ يَوْمَ الدِّعَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ 0 الأنفال41 . وهو ما أشار إليه بحق الشيخ الآصفي في بعض تحليلاته لواقع الأمة بعد الثورة الإسلامية .

فقد امتاز في هذه المرحلة فريقان أو توجّهان أو تياران واحد يحرص على وحدة هويتها و ينحاز لخيار مقاومتها و آخر لا يبالي بوحدتها بل يعمل ليل نهار و تنفيذاً لإملاءات الاستكبار و الصهيونية على تمزيقها و نفي مكوّن أساس فيها و القضاء على كلّ ما كان من انسجام بين مكوّناتها الرئيسيين فما بالنّا بمختلف التوجّهات فيها و ما شأن مكوّنات أوطانها دينياً كالمتسيحيين و سياسياً كالقوميين و اليساريين و كذلك ما يُسمّى الأقليات أليس من الأجدى استيعابها ضمن مشروع واسع رحب للحفاظ على الأوطان من شرّ التشطّي و التمزّق و التفتّت .

ثم يقوم هذا الآخر و قد اصطفّت فيه الأنظمة العربية و الإسلامية و حركات ترفع الإسلام شعاراً كما أشرنا بعضها قديم و بعضها طارئ و افد تدعو جميعاً إلى المسالمة و المساومة و تقبّل كلّ ألوان الاتفاقات و التنسيقات بل التبعية للغرب الاستكباري و حليفه الصهيوني .

وينحاز هذا الآخر ضدّ المقاومة و يحاول أن يجتذب بعض المقاومة بعنوان طائفي إلى جبهته و منهجه و أسلوبه .

و حين نرى الفريق و التوجّه و التيار الأول يؤمّن للمقاومة - و هي منه في الصميم - الدعم الماديّ و التسليحي و يترك لها أن تمارس قراراتها و تنفّذ خططها في مجابهة العدوّ كما تشاء و يدعمها في كلّ منازلة و يحتضنها و جمهورها و لا يلاين في تبنيها ؛ نرى في المقابل الفريق الثاني يُنذّر بغامراتها كما يُسمّيها و بتعكيرها صفو السلام و الأمن و عدم خضوعها لمبادراته و مساوماته و حين يُضطرّ إلى تأييدها و لو من خلال فريق منه نفاقاً و كذباً فإنه يستخدم هذا التأييد و يُوظّفه لغايات تقسيمية و لإذكاء النعرات و تهيج الحساسيات و ربّما اندفع في صراحة معاداته للمقاومة إلى مطالبة العدوّ بتصفيتها و القضاء عليها و ربّما ساعد في ذلك .

(5) الأمة و الامتحان :

وتقف الأمة الإسلامية كلّها على مفترق الطريق و لا يبقى ثمّة إلا أن تختار بين الفريقين أو التوجهين أو التيارين:

فإما إلى ما يحفظ هويتها و يدعم مقاومتها ؛ وإما إلى ما يبدّدّها و يُمزّق نسيجها و يقضي حتى على روح المقاومة فيها فتستسلم مزقاً و أبعاضاً لعدوّها و تخرج من مسرح التاريخ إلى أمد لا يعلم إلا مداه

ولكننا نتفاعل بأن سنّـة ا □ ستحكم و تقضي بالحق " P كـتـبـ اللـه لـأـغـلـبـنـ أـرـا
وـرـسـلـي إـنـ اللـه قـوـي عـزـيز 0 المجادلة 21 .

وأن النصر في ختام المطاف إنما هو للمؤمنين الذين نصرُوا □ بحرصهم على وحدة أمتهم و بحفاظتهم على
روح المقاومة فيها فاستحقوا نصر □ P " " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ
يَنصُرْكُم وَيُغْلِبَنَّ أَقْدَامَكُمْ 0 محمد7.

وأن وعد □ للمؤمنين الذين عملوا الصالحات _ و أصلحها الحرص على وحدة الأمة و مقاومتها _ لن
يتخلّف أبداً P وعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ
لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا
يَعْبُدُونََنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ 0 النور 55

وأن " الأمة على طريق مطلع الفجر الذي سينبلج عن المنتظر المنتظر الذي أعدّه □ تعالى ليقود
مسيرة المنتظرين الممهدين و من ثم " البشرية بأكملها إلى حيث يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما مُلئت
ظلماً و جوراً يؤيِّده في ذلك روح □ و نبيّه عيسى بن مريم عليه السلام مصداقاً لقول الرسول الأكرم
صلى □ عليه وآله و سلّم : (كيف بكم إذا نزل فيكم المسيح عيسى بن مريم و إمامكم منكم ؟
) .

والحمد □ ربّ العالمين

يا رسول الله

للدكتور الشيخ نبيل طالب الحلباوي

كلما جئت موطن الإلهام

يوم ذكراك خائني إقدامي

و إذا ما هممت أكتب حرفاً

عنك ناءت بحملها أقدامي

أنا أدرى بسرّ ضعفي و خوفي

ما بياني لكذّما آثامي

ما حديثي عن أكرم الخلق طُوراً

وجمال الدنى و نور الأنام

و أنا أخطب الذنوب و أمضي

في طريق الغرور و الأوهام

كيف أرنو إلى سناك و طرفي

غشيتهُ غياهب من ظلام

كيف أسمى إلى ثُنَاكَ و ما أخـ

ملصق منهجي و التزامي

وا حيائي ياسيدي بفعالي

بيد أنزي إلى مديحك طامي

جرّ أتنّي خمالك الغرّ و الحبّ -

فردّدت في جوى و هيام

يا رسول الله الذي ختم الرسـ

ل وأكرم ° بأحمدٍ من ختام

يا نبياً أقام دنيا و دينا

في ثلاث مرّات و عشرين عام

أنت سرّ الأسرار في عالم الطهر

وأحلى ما فيه من أحلام

خُلِقَ الذُّورُ إِذْ خُلِقَتَ وَعَقْلُ

هو مجلى التكريم والإنعام

شَرُفَ الْيَتَمُ إِذْ وُلِدَتْ يَتِيمًا

وَعْدُوَّةَ الْعِزَاءِ لِلْأَيْتَامِ

أيُّ طِفْلٍ يَفِيضُ سَحْرًا وَعَطْرًا

وَيَبْثُ الرِّبْعَ فِي الْأَنْسَامِ

وفتى سَمْتُهُ النُّبُوَّةُ ما يَخـ

طُرُّ إِلَّا مَطْلًا لاَ بِغَمَامِـ

ورسولٍ ما أَرَهَبَتْهُ قَرِيشُ

حين جاشت ° وأوعدت ° بانتقام

ورمته ° بالظلم والجوع والخو

فَإِذَا وَجِدَ الْعَدُوَّ عَلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ حَسَامٌ

فَتَلْقَى بِالْعَفْوِ حَقْدًا وَلَوْ مَا

وَتَسَامِي فِي الْحَبِّ أَيْ تَسَامِي

كل " " ما قيلَ في علاه " كلامُ

غيرَ أن " الرسولَ فوقَ الكلامِ

هو معنى المعنى والطفُ ما صرِيـ

غَ وأسمى ما دارَ في الأفهامِ

حبُّهُ جَنَّةٌ وَماءٌ وظلٌّ

وحياةٌ تصفو من الأسقامِ

وهو اهْ والال زلفى إلى اللـ

هـِ وَدَرْبُ النِّجَاةِ يَوْمَ الزَّحَامِ

سَيِّدِي وَالزَّمَانُ مَسْحٌ ظَلَمٍ

وصراعٍ مقنَّعٍ بوئامٍ.

يُتخَمُّ الناسُ في مكانٍ وفي الآ

خرٍ جَوَّعَى ما توا بغير طعامٍ.

سُخِّرَ الْعَقْلُ لِلشُّرُورِ وَعَادَتْ

مِنْ جَدِيدٍ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ

ما لغزو الفضاء والأرض تُغزى

كلَّ يومٍ بالخوفِ والآلامِ

تسحقُّ الروحَ آلهٌ ويؤولُّ النّا

سُ في طَلَّهَا إلى أرقام

بكّ كنا خيرَ الوري ودليلاً

لأريج الهدى وظلّ السلام.

غير أنّا عن الصراط عدلنا

ونكّلنا عن مَوْثِقٍ وذِمام.

ورضينا الأدنى فصرنا إليه

وغدونا أضحوكة - الأيام -

فطعامَ المستكبرينَ وحيناً

في شباكِ الأعوانِ والأزلامِ

ما حفظنا مسراكَ من رجسٍ صُهيو

نَ ، ونامي يا أمةَ العُربِ نامي

وَأَفَقُّنَا على نداءِ إمامٍ

يُشْعِلُ النَّارَ فِي حِصُونِ الظَّالِمِ

ذَاكَ دَرَسُ الْإِمَامِ لِقَائِهِ النَّا

سَ فَصَارُوا كَالْأَسَدِ فِي الْآحَامِ

ثُمَّ قَالَ أَنْفِرُوا لِتَحْطِمَ عَرْشَ

وَلِدَ وَسِ الطَّغَاةِ بِالْأَقْدَامِ

و رأينا إيرانَ تُخَلِّصُ □

فتودي بالظَّالِّمِ و الظُّلَّامِ

لَمْ تَخَفْ بِأَسْهَاءِ الشُّعُوبِ وَلَكِنْ

خَافَتِ النَّاسَ زُمْرَةُ الْأَقْرَامِ

و أراد المستكبرونَ بها الكيدَ

عد فديسَّاتٌ أنوفَهمُ في الرِّسِّ غامِ

إنَّ حنْفَ الطغاةِ آتٍ وما

تُفْلِحُ من مادمٍ ولا مَدَامٍ

ورأينا لبنانَ تَبْزُغُ فيه

فتية أخلصوا لربِّ الأنامِ

وبحزبٍ اﻟﻤﺌﻲ اﺭﺗﻌَـوْا ﻻ ﺳﻮاهُ

ﻣﻦ ﺣﻜﺎﻳﺎ ﺍﻟﺒﻬﺎﻡ ﻭﺍﻟﺒﻬﺎﻡِ

فجَّـروها حرباً على الكفرِ صرفاً

لا كحربِ الراياتِ والأعلامِ

فإذا الكبرُ يَلْعُقُ التُّرْبَ لعقاً

في حصونٍ تحوَّلتْ لـرُّكامٍ

ولصهيونَ أنْزَمةٌ فنواحٌ

فانحسارُ في خيبةٍ وانهازامِ

وبخطٍ الإمامِ ينداحُ نوراً

ويعرّي التعقيم في الإعلام.

وإذا وجهٌ راغبٌ يملأُ الأفقُ

بـبـشـرٍ وطيبةٍ وابتسامٍ.

ويقولُ اثبتوا فموعدُنا النصرُ

ولا تأبَـهوا بكيدِ اللئامِـ

سيدي للحياة علامتَ ديناً

ليسَ يرضى بالنومِ والذُّوَّامِ

لو عرفناكَ لم نَـعْشُ في جمودٍ

وخمودٍ وذلةٍ وانقسامٍ

واعتصمنا بحبل ربِّ البرايا

فهو فينا المتينُ ذو الإحكامِ

وجعلنا التوحيدَ أصلَ اتحادٍ

وإِخاءٍ وَأَلْفَةٍ وانسجامٍ

كيف يسعى أعداؤنا لوائِمٍ

وترانا في فُرقةٍ وخيامٍ

وَحَدَّ تَهُمٌ مَطَامِعٌ وَافْتَرَقْنَا

فَذُنَابٌ تَعِيثُ فِي الْأَغْنَامِ

لو فهمناك لم تصلَّ خُطانا

وامتلكنا أعدَّة الأيامِ